السنة السابعة والسبعون بعد المئة

فيها غزا الصائفة عبدُ الرزاق بن عبد الحميد التغلبي.

وولَّى هارون مصرَ إسحاقَ بن سليمان بن علي، وعزل عنها جعفر بن يحيى، وعزل حمزة بن مالك عن خراسان وولاها الفضلَ بن يحيى مع سجستان والري.

وهبَّت ريحٌ شديدةٌ، وجاءت ظلمةٌ عظيمةٌ فيها حمرة، وذلك ليلةَ الأحد لأربع بقين من المحرَّم، ثم عادت ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا منه، ثم عادتْ لليلة خَلَتْ من صفر[1].

وتحرَّكت الخوارجُ على هارون بالجزيرة.

وحجَّ هارونُ بالنَّاس.

شَريك بن عبد الله

ابن أبي شريك، أبو عبد الله القاضي النخَعيّ، من الطبقةِ السادسة من أهل الكوفة.

قال: كنت أضربُ اللبنَ بالكوفة، وأشتري دفاترَ أكتب فيها العلم.

وقال: أُكرِهتُ على القضاء، فقال له بعض أصحابه: أفأُكرِهت على أخذ الرِّزق.

وحجَّت الخيزران وهو على الكوفة، فخرجَ يتلقَّاها، فأبطأت عليه، فأقامَ بمكان يقال له شاهي، ويبسَ خبزُه، فجعل يبلُّه بالماء ويأكله، فقال العلاء بن المنهال: [من الوافر]

فإن كان الذي قد قلت[2] حقًّا ... بأنْ قد أكرهوكَ على القضاءِ
فما لك مُوْضِعاً في كلِّ يومٍ ... تلقَّى من يحجُّ من النِّساءِ
مقيماً في قرى شاهي ثلاثاً ... بلا زادٍ سوى كِسَرٍ وماء

ولما ولي شريكٌ القضاءَ أُكرِهَ على ذلك، وأُقْعِدَ معه جماعةٌ من الشُّرَط، ثم طابَ الشيخ من نفسه فقعد وحدَه، وبلغَ سفيان الثوريّ، فجاءَ فتراءى[3] له، فلمَّا رآهُ قام له

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٢٥٥، والمنتظم ٩/ ٢٩، والكامل ٦/ ١٤٠.

(٢) في (خ): كنت. والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩١.

(٣) في (خ): فتزايا. والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٢، والمنتظم ٩/ ٣١.

وأكرمَه وعظَّمه، وقال: يا أبا عبد الله، هل من حاجة؟ قال: نعم مسألة. قال: أوليسَ عندك من العلم ما يُجزيك؟ قال: أحببتُ أن أذكرك فيها. قال: قل. قال: ما تقولُ في امرأةٍ جاءت فجلسَت في باب رجل، ففتح الرجلُ البابَ واحتملَها فأدخلها وفجرَ بها، على من يجب الحدُّ منهما؟ فقال: على الرجل دونها. قال: ولم؟ قال: لأنها مكرهة. قال: فلمَّا كان من الغد جاءت فتزيَّنت وتطيَّبت وجلست على الباب، ففتحَ الرجلُ الباب واحتملَها ففجرَ بها، على من الحد؟ قال: عليهما جميعاً. قال: ولم؟ قال: لأنها جاءت بنفسها وقد عرفت الخبرَ بالأمس. قال: وأنت كذا، كان عذرُك واضحاً حيث كان الشُّرَط يحفظونَك بالأمس، أيُّ عذرٍ لك اليوم؟ فقال: يا أبا عبد الله، اسمع أكلمك، فقال سفيان: ما كان الله ليراني أكلمك أو تتوب، فلم يكلِّمه حتى مات.

وكان سفيان الثوري يقول: أي رجل هو لو لم يفسدوه!

وكان لا يجلس للقضاء حتى يتغدَّى، ثمَّ يأتي المسجد فيصلِّي ركعتين، ثم يخرج من جيبه رقعةً فينظر فيها، وفيها مكتوب: ويحك يا شريك، اذكر الصراط ودقَّته، والوقوفَ بين يدي الله تعالى.

وقال عمر بن الهيَّاج[1]: أتت امرأةٌ شريكاً وهو في مجلسِ الحكم، فقالت: أنا بالله، ثمَّ بالقاضي، أنا امرأةٌ من ولد جرير بن عبد الله صاحب رسول الله ﷺ، قال: وما الذي بك؟ قالت: ظلمَني الأمير موسى بن عيسى، وكان لي بستان على شاطئ الفرات، فيه نخلٌ، ورثتُه عن آبائي، فقاسمتُ إخوتي، وبنيتُ بيني وبينهم حائطاً، وجعلتُ فيه فارسيًّا في بيت يحفظُه، ويقوم بالبستان، فاشترى الأميرُ من إخوتي حصَّتهم، وساومني في حصَّتي فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعثَ بخمس مئة فاعل، فقلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرفُ من نخلي شيئاً، واختلطَ بنخلِ إخوتي، فقال: يا غلام، طينة فختم، ثمَّ قال لها: خذي هذه واذهبي إلى بابه حتى يحضُر معك، فجاءت المرأةُ إلى بابه بالطينة، فأخذها الحاجبُ ودخلَ بها إليه وقال: أَعْدَى شريكٌ عليك، فدعا بصاحبِ شرطته وقال له: امضِ إلى شريك وقل له: سبحان الله،

(١) في (خ): الصباح. والمثبت من تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٥.

امرأةٌ ادَّعت بدعوى ولم تصح، أعديتَها عليّ؟ فقال: إن رأى الأمير أن يعفيني فليفعل، فقال: امضِ إليه ويلك، فقام وأمرَ غلمانَه أن يتقدَّموه إلى الحبس بفراشٍ وما يحتاجُ إليه، ثم جاءَ فوقفَ بين يدي شريك وقال: الأمير يقول لك: يا سبحان الله، ما رأيتُ أعجبَ من أمرك، وأدَّى الرسالة، فقال: يا غلام، خذ بيده واحملهُ إلى الحبس، فقال: قد عرفتُ والله أنَّك تفعل بي هذا، فقَدَّمت إلى الحبس ما يصلحني، وبلغَ موسى ابن عيسى، فأرسلَ الحاجب إلى شَريك يقول: هذا رسول أيشٍ عليه؟ فلمَّا جاء الحاجب وأدَّى الرسالة قال: ألحقُوه بصاحبِه، فحُبِس، فلمَّا صلى الأمير العصرَ بعث إليه بإسحاق بن الصباح الأشعثي وجماعةٍ من وجوه أهل الكوفة من أصدقاء شَريك، وقال: امضوا إليه فأبلغوه السَّلام، وقولوا له: إنَّ هذا ليس كالعامة، وقد استخفَّيت به، فجاؤوا إليه وأبلغوه السلامَ والرسالةَ. قال: من هاهنا من فتيان الحيِّ، فليأخذ كلُّ واحدٍ بيد واحد إلى الحبس، قالوا: جادٌّ أنت؟ قال: إي والله؛ لئلَّا تحملُوا رسالةَ ظالم، فحُبِسوا.

فركبَ موسى بن عيسى في الليل إلى باب الحبسِ، فأخرجَهم جميعاً، فلمَّا كان من الغد جاء السجَّان إلى شَريك فأخبره، فختم قمطره وقال: يا غلام الحقني به إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولقد أكرهونَا عليه، وضمنُوا لنا الإعزازَ فيه، وركبَ بغلتَه ومضى حتى بلغ القنطرة، فبلغَ موسى فركبَ في موكبه ولحقَه، وجعلَ يناشده الله؛ يا أبا عبد الله، تثبَّت تحبسُ إخوانك! دعهم واحبس أعواني، فقال: إنَّما حبستُهم حيث مشوا في الظلم، والله لا أرجعُ حتى تردَّهم جميعاً إلى الحبس، فوقفَ مكانه حتى ردَّهم جميعاً إلى الحبس، ثم قال شريكٌ لأعوانه: خذُوا بلجامِ بغلةِ موسى إلى مجلس الحكم، فأخذُوا بلجامِه، وأتى المسجد فدخل وجلس للحكم، وقال: أين المتظلمة؟ فحضرت، فسوَّى بينهما في المجلس وقال: هذا خصمُك قد حضرَ، وهو جالسٌ معها بين يديه، فقال: أولئكَ يخرجونَ من الحبس قبل كلِّ شيء، قال شريك: أمَّا الآن فنعم، ثم قال: ما تقولُ فيما تدَّعيه هذه؟ قال: صَدَقَتْ. قال: فتردُّ عليها بستانها؟ قال: نعم. قال: وتعيدُ حيطانَها كما كان؟ قال: نعم أفعل، فقالت المرأة: وبيتُ الفارسي تبنيه، وتردُّ قماشه؟ قال: نعم. فقالت لشريك: جزاك الله من قاضٍ

خيراً، فقال لها: هل بقي شيء؟ فقالت: لا، فقام شريك من مجلسه، وأخذ بيد موسى، وقال: السلام عليك أيُّها الأمير، وأجلسَه معه، وقال: أتأمرُني بشيء، فضحكَ موسى: وأيّ شيء آمر؟! وانصرفَ[1].

وقال عمر بن الهيَّاج: كنت في صحابة شَريك، فأتيتُه يوماً، فخرج إليَّ في فروٍ وليس تحتَه قميص، وعليه كساء، فقلت له: قد أصبحت[2] عن مجلس الحكم! فقال: غسلتُ أمس ثيابي، فلم تجفّ، وأنا أنتظرُ جفافها، اجلس، فجلستُ وجعلنا نتذاكرُ باب العبد يتزوَّجُ بغير إذن مولاه، ما تقول فيه؟ وكانت الخيزران قد وجَّهت على الطِّراز رجلاً نصرانيًّا، وكتبت إلى موسى بن عيسى: لا تعصي له أمراً، فكان مطاعاً بالكوفة، وإذا بالنصرانيِّ قد خرجَ من زُقاقٍ، وبين يديه أعوانه وعليه جبَّةُ خزٍّ وطيلسان خَزّ، وهو على برذونٍ فاره، وبين يديه رجل مكتوفٌ وهو يصيح: واغوثاه بالله، أنا رجل مسلم، أنا بالله وبالقاضي، وإذا آثارُ السياط في ظهره، فصاحَ شَريك بالنصرانيِّ: دعه، فنزل وجاء، فجلس إلى شريك، فقال شريك للمسلم: ما الذي بك؟ فقال: أنا رجل أعمل الوَشيَ، وكراءُ مثلي في الشهر مئةُ درهم، أخذَني هذا فحبسني أربعةَ أشهر في طراز، وقد ضاعَ عيالي، ولم يعطني شيئاً، وطلبتُ منه اليوم أجرتي، فمدَّني وضربني[3]، وكشف عن ظهره، فإذا فيه آثار السياط، فقال شريك للنصراني: قم فاجلس مع خصمك، فقال: يا أبا عبد الله، أصلحكَ الله أنا خادم السيدة، مُرْ به إلى الحبس، فقال له: قم ويلك فاجلس مع خصمِك، فقام فجلسَ معه، فقال شريك: ما هذه الآثار التي في ظهره؟ فقال: أنا ضربتُه بيدي، فألقى شريكٌ كساءه فدخل دارَه وأخرج سوطاً ربذيًّا، ثم ضربَ بيده إلى مجامع ثوب النصرانيّ، فألقاه، ثم جعل يضربُه بالسوط ويقول: والله لا ضربتَ بعدها مسلماً، فهمَّ أعوانُه أن يخلِّصوه، فقال شريك: مَنْ هاهنا من صبيان الحي، خذوا هؤلاء إلى الحبس، فهربوا، والنصرانيُّ يبكي ويعصر عينيه، والسوط يأخذه، ويقول: يا ملعون، والنصرانيُّ يقول: ستعلم، ثم ألقَى السوط

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧.

(٢) كذا في (خ)، وفي تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٤ : أضحت، وفي أخبار القضاه ٣/ ١٦٩ أضحيت.

(٣) في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٤، وأخبار القضاه ٣/ ١٦٩ : فأفلتُّ اليوم منه، فلحقني ففعل بظهري ما ترى.

من يده في الدهليز وقال: يا أبا حفص، خُذْ فيما كنَّا فيه، ما تقول في العبد يتزوج بغير إذن مولاه؟ كأنَّه لم يصنع شيئاً، وقام النصرانيُّ إلى برذونه ليركبَه، فاستعصَى عليه، ولم يكن أحدٌ يأخذ بركابه، فجعلَ يضربُه وشريك يقول له: ويحك ارفق به، فإنَّه أطوعُ لله منك، فقلت له: سيكون لهذا عاقبةٌ مكروهةٌ، فقال: أَعِزَّ أمرَ الله يعزُّكَ الله.

ودخل النصرانيُّ على موسى بن عيسى فقال: من فعل بك هذا؟ فقال: شريك، فقال: لا والله ما لي على شَريك اعتراض، ولا أتعرَّض له بشيء، ومضى النصراني من فوره ذلك إلى بغداد فلم يعد.

وقال الأصمعيّ: كان الربيع يحملُ المهديَّ على شَريك، ويقول: هو فاطميّ، فدخلَ شريك يوماً على المهدي، فقال له: يا أبا عبد الله، أنتَ فاطميّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أعيذُك بالله أن تكونَ غيرَ فاطميّ، فقال: معاذ الله، والله إنَّني أحبُّ فاطمة بنت محمد ﷺ، قال: ما تقول فيمن يبغضها؟ قال: لعنه الله، قال: فهذا يبغضها، وأشار إلى الربيع، فقال الربيع: لا والله، فقال شريك: ماجن فلم تذكرُ سيدةَ نساءِ العالمين في مجالس الرجال، فقال المهدي: أنت والله يا أبا عبد الله خيرٌ من الذي حملنِي عليكَ[1].

وقال المهدي: يا شريك خنتَ في مال الله، فقال: يا أمير المؤمنين لو خنتُ فيه لأتاكَ سهمك.

ودخلَ شريك على المهديّ، فقال: لا ينبغي لمثلك أن يقلَّد الحكم بين المسلمين، قال: ولم؟ قال: لخلافِك الجماعةَ وقولِك بالإمامة، فقال: أما قولك: إنَّني أخالفُ الجماعةَ، فعنهُم أخذتُ ديني، فكيف أخالفُهم؟ وأما قولك: لا ينبغي أن أقلَّدَ الحكم بين المسلمين فهذا أمرٌ ما طلبتُه، أنتم فعلتموه، فإنْ كان خطأً فاستغفرِ اللهَ منه، وإنْ كان صواباً فأمسكوا عليه. قال: فما تقول في عليّ؟ قال: ما قال فيه جدُّك العباس وابنه عبدُ الله، قال: فما قالا فيه؟ قال: أما العباس فمات وعليٌّ عنده أفضلُ الصحابة، وقد كان يرى كبراءَ المهاجرين يسألونَه عن النوازل، وما احتاج إلى أحدٍ قط، وما زالوا

(١) انظر الخبر بأوضح مما هنا في العقد الفريد ٢/ ١٧٨ ـ ١٧٩.

محتاجين إليه، حتى لحقَ بربِّه، وأما عبد الله فكان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حُروبه كلِّها رأساً متَّبعاً، وقائداً مطاعاً، فلو كانت إمامةُ عليٍّ جوراً لكانَ جدُّك أول من بعد عنها؛ لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله، فأطرقَ المهديُّ ولم يجبه.

ذكر سبب عزله:

تقدَّم إليه وكيلٌ لمُؤنسة جاريةِ المهدي مع خصمٍ له، فجعلَ الوكيلُ يستطيلُ على خصمه إدلالاً بمكانه من مؤنسة، فقال له شريك: كُفَّ لا أبا لك، فقال: إليَّ تقول هذا وأنا وكيلُ مؤنسة؟ فأمر به فضرب عشر درر[1]، وبلغَ مؤنسة فقالت للمهدي: لا أنا ولا شريك، فعزلَه.

ذكر وفاته:

توفِّي بالكوفة يوم السبت مستهلَّ ذي القعدة سنة سبعٍ وسبعين ومئة، فشهدَ جنازته موسى بنُ عيسى وصلَّى عليه.

أسندَ شريك عن خلقٍ كثيرٍ من التابعين، ورَوى عنه ابن المبارك وغيره، وقد تكلَّموا فيه، فقال ابن سعد: كان شريك ثقةً مأموناً كثير الحديث، إلَّا أنَّه كانَ كثير الغلط[2].

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: كان شريك من كبارِ العلماء الثقات، إلَّا أن قوماً قدحُوا في حفظه[3].

وقال ابن المبارك: شريك أحفظُ بحديث الكوفيين من سفيان الثوري.

وقد أخرجَ عنه البخاريُّ ومسلم[4].

(١) في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٩٧: عشر صفعات.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٥٠٠.

(٣) المنتظم ٩/ ٣٠.

(٤) قال المزي في تهذيب الكمال ١٢/ ٤٧٥: استشهد به البخاريُّ في الجامع، وروى له في «رفع اليدين في الصلاة» وغيره، وروى له مسلم في المتابعات، واحتج به الباقون.